

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ورقة بحثية "الإعلام الإلكتروني وصراع الأولويات بين التاريخ التقليدي والمتسقبل الرقمي"

إعداد:

إسلام "محمد علي" النجار

مراجعة:

حمدان عمر القرني

مقدمة إلى "مؤتمر تأثير مواقع التواصل الاجتماعي على الإعلام الإلكتروني"

جامعة النجاح الوطنية – نابلس، فلسطين.

٤ نيسان ٢٠١٨

المقدمة:

ربما الإعلام أخذ ويأخذ حيزاً كبيراً من حياتنا فنحن بدون وعي نمارس عمليات إتصالية من وإلى بكل الإتجاهات وعن طريق طرق مختلفة، نشأ الإعلام بطرق عده وأتخذ الإتصال الأساس القوي الذي من خلاله يقوم المرسل بإرسال ما يريد من معلومات ليتلقاها المستقبل ويستفيد منها. لقد فرض ظهور الإنترنت ومن بعده الإعلام الإلكتروني واقعا مختلفا، إذ أنه لم يعد تطورا فقط لوسائل الإعلام السابقة، وإنما هو وسيلة احتوت كل ما سبقها من وسائل، فأصبحت هناك الصحافة الإلكترونية المكتوبة وكذلك المرئية والمسموعة، بل إن الدمج بين كل هذه الأنماط والتداخل بينها أفرز قوالب إعلامية متنوعة ومتعددة بما لا يمكن حصره أو التنبؤ بإمكانياته.

المشكلة:

في عصر ثورة المعلومات الإلكترونية والإعلام الجديد، الذي نعيشه هذه الأيام، والذي ساهم بشكل كبير في الحصول على المعلومة وانتشارها، كان لزاما علينا مواكبة هذه التقنية الحديثة، التي أصبحت لغة العصر الحالي، وأحد مفردات التقدم الإعلامي، إذ مكنت «الثورات الشبكية» للمهتمين في مختلف المجالات سهولة التواصل والإطلاع بطرق احترافية وتطبيقات آلية ميسرة، مما طوع للإعلام بقوالبه المختلفة الظهور في مقدمة هذه المجالات الهامة، والذي خلق ثقافة جديدة أطلق عليها "ثقافة التكنولوجيا"، وأصبح لكل فرد مؤسسة وواقع إعلامي افتراضي يعيش به الأحداث بتفاعل مباشر ونقل حر للمعلومة عبر مواقع التواصل الاجتماعي المتنوعة وبأدواته المختلفة، وأصبح العالم يعيش الآن على الإعلام الإلكتروني كمحور أساسي لاحتواء قضايا الحياة المعاصرة الفكرية والثقافية، وبرز مستقبل الإعلام في مجالي الانترنت والاتصالات دون النظر إلى تبعات هذا الإنتقال.

الأهمية:

استطاع "الإعلام الإلكتروني" أن يفرض واقعا مختلفاً على الصعد الإعلامية والثقافية والفكرية والسياسية، فهو لا يعد تطورا فقط لوسائل الإعلام التقليدية، وإنما وسيلة إعلامية احتوت كل ما سبقها من وسائل الإعلام من خلال انتشار المواقع والمدونات الإلكترونية وظهور الصحف والمجلات الإلكترونية التي تصدر عبر الإنترنت، بل إن الدمج بين كل من هذه الأنماط والتداخل بينها أفرز قوالب إعلامية متنوعة ومتعددة بما لا يمكن حصره أو التنبؤ بإمكانياته: إعلام المستقبل - والعالم يتجه اليوم في شكل عام نحو الإنترنت وتطبيقاته في المجالات المختلفة. وهنا تكمن أهمية الفصل الدقيق بين الدور التوعوي والدور الوظيفي للإعلام الإلكتروني والإعلام التقليدي.

الإعلام الإلكتروني وصراع الأولويات:

في عالم متسارع التطور والحدثة في الجوانب التكنولوجي ووسائل التواصل الاجتماعي، التي باتت شريكا في كل مناحي الحياة، تعالت الاصوات التي تتحدث عن غلبة هذه الوسائط على وسائل الإعلام التقليدية، وتحديدًا الإذاعة والتلفزيون بعد الكثير مما قيل عن الإعلام المقروء، ويعيد للأذهان المخاوف التي أحاطت بالإذاعة عند ظهور التلفزيون وبعدها البث الأرضي بعد رواج الفضائي لتبقى المسألة نسبية ما بين الصمود أو الغياب. زادت المخاوف بعد أن أصبحت وسائل التواصل الاجتماعي عاملا مؤثرا في تحريك العقول والأجساد الى عوالم أخرى من السلم الى الإرهاب، ومن الاعتدال الى التطرف، خصوصا في ظل ما يشهده العالم من حشد الجيوش من الشباب الى عالم التطرف الفكري الديني والوسيلة هي الإعلام الإلكتروني، بينما نجح ذلك الإعلام في تجربة الرئاسة الأميركية مؤخرا كمؤثر في الشارع الأميركي على الرغم من بعد الشاشات التقليدية عن الترويج لمشرح على حساب الآخر.

أما على المستوى الاجتماعي فقد بات له أهمية كبيرة في حياة السواد الأعظم من الناس كمصدر للمعلومة والخبر السريع في زمن بات الجميع يبحث عن الأسهل والأسرع والأقرب من دون بذل الجهد في إيجاد الهدف أو الطلب. ما بين البقاء أو التغيير يبقى الجدل دائرا حول مدى تأثير الإعلام الإلكتروني في الإعلام التقليدي، حيث ذهب الى عدم قدرته على الغاء أي منهم، وان كان تأثيره كبيرا في نسب المتابعة أو الشعبية.¹

صراع الصحافة التقليدية والإعلام الإلكتروني:

وفي ظل الحديث عن الإعلام الإلكتروني وإرتباطه بالصحافة التقليدية، أثبت المختصون على مر الوقت بأنه لا يمكن للإعلام الإلكتروني ان يلغي التلفزيون والإذاعة مهما كان تأثيره فيهما سواء كان سلبيا او ايجابيا، فمن دون شك هناك تأثير سلبي في وسائل الإعلام والاتصال التقليدية بفعل الوسائل التكنولوجية الحديثة، لكنها لا يمكن لها ان تلغي دورها التلفزيون والإذاعة اللتين تعتبران المقصد الرئيسي لفئة عمرية لمن هم في نهاية الأربعينات والخمسينات، فقد يكون هذا التغيير طال الشباب كونهم المستخدم الاول لها، لكن يبقى للإعلام التقليدي وجوده وثباته، وان تأثرت بعض المؤسسات بفعل قلة الإعلان فيها واستبدالها بوسائل التواصل والإعلام الإلكتروني لدرجة اقفال بعض هذه المؤسسات، لكن هناك من لا يزال يسعى الى البقاء، وهناك ما هو ثابت، وتبقى أيضا منطقية التوجه لـ«السوشيال ميديا» بفعل تطور المجتمع ووسائل التواصل فيه، لكن لن تلغي اي منها وجود الأخرى، فعلى سبيل المثال مع تطور السينما ووجود العديد من الخيارات ما زالت تعيش على عرض أفلامها بدور السينما وبثها عبر القنوات الفضائية، الأمر الذي لا يمكن له أن يتلاشى.

فلا أحد ينكر هيمنة وسائل التواصل الحديثة على حياتنا، لكنها لن تلغي على الأقل في الوقت الحالي الوسائل التقليدية في الإعلام المرئي والمسموع، فإذاعة: مع كل هذه المتغيرات لا يمكن للإنسان العودة إلى الوراء، ومن الطبيعي أن يكون هناك مكان وموقع مميز للإعلام الإلكتروني، حتى لو رفضنا أو لم نتكيف مع وجوده، لكنه لن يلغي المرئي والمسموع على الأقل في الوقت الحالي، وقد تكون هناك طرق يتم من خلالها المزوجة ما بين هذا الاعلام والاعلام التقليدي، فكما أصبح العالم قرية صغيرة فسيكون عليه حال الإعلام في كل مكان.

¹ أبو فريخة، عام (2013)، القنوات الفضائية والثورة الرقمية، (ط 1) دمشق: دار المفكرون.

وفي هذا الوقت علينا أن نستعد لما هو قادم، لا ان ننتظر ما سيحدث، ونحن ننظر الى كل ما يدور حولنا من دون أن نتحرك، فقد أصبح الانسان يتنقل من مكان لآخر عبر حركة الأتامل على الأجهزة الذكية، وعلينا استشراف المستقبل، لأنه كلما تحسنت الصورة يترك الإنسان ما كان عليه ويتوجه للأفضل.

التطور الإعلامي المتردد والمتسارع:

أما عن التطور الاعلامي فهو مازال حاضراً ما دامت عجلة الحياة تدور، لكن لم تلغ أي وسيلة وسيلة أخرى، فتاريخياً ومن خلال التطور في وسائط الإعلام في المجتمع الإنساني لم تلغ أي وسيلة وسيلة أخرى سبقتها، ففي الوقت الذي ظهر التلفزيون لم تلغ الاذاعة، والبث الفضائي لم يلغ الأرضي، ونحن الآن في زمن الانفجار التكنولوجي، وما تم على أرض الواقع هو أن هذه الوسائط الجديدة في التواصل أصبحت مكملة لما هو موجود، بل هي ناقلة للحدث الذي يبث عبر الفضائيات التلفزيونية، لتبقى هذه الوسائط ناقلة لمناخ الثقافة على تنوعها، وعلى سبيل المثال وجدنا ان التلفزيون والاذاعة يستعملان ابداعات الكاتب والفنانين أمثال طه حسين ونجيب محفوظ من خلال الدراما، واليوتيوب يتناولها، لذا هي عملية متكاملة تنقل الابداعات والثقافات بطريقة حديثة، والفارق فقط في سرعة النقل، كون ان الاعلام الالكتروني أسرع من التقليدي.

وهناك مثال واضح على هذا التغيير: لقد حاول بعض من مقدمي البرامج مثل باسم يوسف استبدال برنامجه التلفزيوني ببثه عبر يوتيوب فقللت نسب المشاهدة له عن البث الفضائي، لأن مثل هذه الوسائط كالجوابت السريعة يتطلع مستخدمها للحصول على المشهد او المعلومة السريعة، بينما يفضل الكثيرون المتابعة المريحة عبر شاشة² التلفزيون في أجواء مريحة

ولا شك في أن الإعلام الإلكتروني غزا العالم لما له من مميزات طغت على الوسيلة التقليدية (التلفاز والراديو) في جلب المعلومة أو متابعة الخبر، سواء على المستويين المحلي والدولي، فالإعلام الإلكتروني يتميز بسرعة بث الخبر مقارنةً بالوسائل التقليدية فتلك الأخيرة يمر بها الخبر بمراحل عديدة تبطن من توقيت بثه عبرها، إضافة إلى ذلك فإن الإعلام الإلكتروني يتميز بتوفره متى ما دعت الحاجة إليه مع امكانية الرجوع للمعلومة مرات عديدة مميزات عديدة للإعلام الكتروني يشهده عصرنا الحالي وتوجهه فنه الشباب بالاصح الى تلك الأساليب الالكترونية في الوصول للمعلومة متابعة الخبر والترفيه ايضاً، الآ انه وبرأيي الشخصي فإن التلفاز والراديو مازالا هما الطرق التقليدية المحافظة على الصدارة في الاستخدام مهما كان الغرض منهما في الاستخدام، فهما ذات جذور صلبة، فلا يمكن أن تجلس في غرفة المعيشة أو الديوان بدون تلفاز، ولا يستغني عن المذيع في السيارة مهما تطورت صناعة السيارة، أما الإعلام التقليدي ترتفع به ثقة الجمهور في الأمور الجدية والأحداث المحلية والعالمية كون الخبر يمر بمراحل عديدة في التحقق من الخبر والمعلومة التي تصل للجمهور. في حين كل من الاعلام الالكتروني والاعلام التقليدي يسيران في مسارين متوازيين يلمع كل بمميزاته وتبقى حرية الاختيار لكل مسار بالنهاية للجمهور.

² هيئة البث الفضائي العربية (2016)، القنوات العربية والتأثير. تم الإسترجاع بتاريخ 2018/03/03، من <https://goo.gl/8LG7q>

نظرة للتاريخ وتطلعات إلى المستقبل:

الطرق التي يتواصل بها الناس منذ فجر التاريخ وحتى يومنا هذا تتغير وتتطور وتنمو، بحسب الوسائل والإمكانات المتاحة في كل عصر، وتختلف طبيعة تواصل أفراد المجتمع في وقت ما، باختلاف الوسائل التي يستخدمونها في التواصل، لذا تكون هناك وسائل إعلامية مؤثرة في الجمهور، الذي ألفها وتعود عليها ثم بفضل التطور التكنولوجي في وسائل الإعلام، تظهر وسائل إعلامية جديدة تستقطب جمهوراً جديداً، يألفها ويتعود عليها، وبذلك تضعف الوسائل الإعلام القديمة، التي كانت بارزة و مؤثرة في الماضي، وهكذا كلما ظهرت وسيلة إعلامية جديدة، أضعفت من تأثير الوسيلة التي سبقتها، وبدأ الجمهور ينصرف عن الوسيلة القديمة ويذهب للجديدة. أنظر مثلاً حين ظهرت الصحافة، ثم تبعتها الإذاعة، فالسينما، والتلفزيون، كلها أثرت في بعضها بعضاً، وتنقل الجمهور من وسيلة إلى أخرى. صحيح أنها لم تندثر تلك الوسائل، لكن وظائفها تغيرت، وكذلك طبيعة جماهيرها.

والآن أصبح لدينا وسائل إعلام جديدة هي مواقع التواصل الاجتماعي، وبدأ الجمهور (وتحديداً الشباب) يقبل عليها بقوة، ويقضي معها فترات طويلة، بحيث تعود عليها وعلى مضامينها، وهذا، ولا شك، أضعف وسائل الإعلام التقليدية، خاصة الصحافة الورقية، مما اضطرها للتوقف، أو للتكيف معها من خلال تحولها الصحافة الكترونية تماماً. إن الإشكالية في ظهور وسائل إعلام جديدة هي في تقبل المجتمع لها، خاصة الجيل الشاب، بحيث أنه يستطيع بسهولة الانصراف عن الوسائل التقليدية (أو القديمة) لأنه لم يتعود عليها، أو يتعاطى معها. وبالتالي، نستطيع القول أن ظهور وسائل إعلام جديدة قوية من شأنه التأثير في المشهد الإعلامي، ليس في طبيعة الجمهور فحسب، بل حتى في توجه شركات الإعلان، وصناع الرأي العام، والتأثير الاجتماعي فيها، لأن أغلب الجمهور يتجه إليها، وينصرف عن الوسائل القديمة.

إن المجتمع (أفراداً ومؤسسات) يتأثر إيجاباً وسلباً حين تظهر وسائل إعلام جديدة، وتبدأ عاداته الاتصالية في التغير، من خلال استخدام هذه الوسائل الجديدة، سواء على المستوى الفردي أو المؤسسي أو حتى الحكومي، وهذا ما يجعلنا ننقل، دون أن نشعر، إلى عالم جديد، تغيرت فيه قواعد اللعبة من حيث الاتصال والتفاعل مع الآخرين.